جمهورية العـــراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسيـــة كلية الاداب
قســـم اللغة العربية

بلاغة الاستفهام ودلالته في القرآن الكريم

بحث مقدم الى مجلس كلية الآداب قسم علوم اللغة العربية

وهو جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في اللغة العربية

من قبل الطالبات

غفران علي عبد الكريم

ذكريات اسعد عبد

إشراف

د. غفران حمد المالكي

٢٠١٩ م ١٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي خلق الإنسان، علمه البيان ،وفضله على سائر خلقه بالعقل والتبيان، وانزل له القرآن ليكون نبراسا له إلى الجنان، وحجة على من أعرض عنه، وصدف عن الإيمان، والصلاة والسلام على من بعث من بني عدنان، وأوتي جوامع الكلم ونور الفرقان، محمد وعلى آلة وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد

فإن علم البلاغة يحتل في علوم اللغة مكانة هامة لأنه يوصل المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ويؤثر على وجدانه فينفعل، بحيث لا مزيد على الحاجة ولا إخلال يفضي إلى الفاقة، به يمتاز السمين عن عث الكلام، ويؤثر الخطيب على الأنام، وعليه يعتمد في تفضيل شاعر على مثيله، والحكمة لأديب على نظيره فهو حلية الكلام، وزمامه إلى المرام، وهو جنة الهادي وسهم الأديب إلي الأعادي ،وهو أداة معرفة نظم القرآن ووسيلة لدرك إعجاز الرحمن، وكاشف أسراره الدقيقة، لا يتم التوصل إليها إلا بالبراعة في هذا العلم، والتضلع بغيره مما يسانده من العلوم.

ولهذا تشعبت فروعه وتفتحت أزهاره بضوء القرآن الكريم العامل الأساسي في نشأته والباعث القوي على تطوره، فلا غرم أن اهتم به العلماء منذ سطوع فجره تأليفا وتدرسا واعتنى به الفضلاء تقليدا وتكريرا.

إن علم البلاغة يماثل تمثالا، كتب الجمال بحسن الأعضاء واعتدالها وبتناسب الأطراف واكتمالها، فالكلام عن ميزان جانب منه صريحا ينبئ عن ميزان، جوانب أخرى ضمنا، والجانب الذي أسر نظري ،وقيد فكري هو أسلوب الاستفهام، الذي يعد من أدق مباحث الإنشاء وأجملها، ومن أغرز قوالب المعنى وألطفها، يجمع بين لين اللفظ و استعلاء الطلب، وربت أدواته على العقد في كلام العرب، يستعمل للمعنى الموضوع له حين، ولغيره حينا آخر، وهو يحظى بخصائص موضوعية، كما يتمتع بخصائص دلالية وأسلوبية وقد امتاز بالشيوع والانتشار كامتيازه باللطائف والأسرار، وخاصة في أعظم نموذج للكلام العربي وأبلغه، وهو القرآن الكريم ،الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نورا وهدى للناس، وشفاء لما في الصدور وتبيانا لكل الأمور، وجعله معجزة الإسلام الخالدة وحفظه من أن تمسه الأيدي الآثمة ،فتحرفه أو تغيره ،حارت الأنام في إدراك كنهه، وقصرت الأقلام عن تحبير أسراره وخباياه، إذ هو بحر لا يدرك غوره، ونجم لا يرام شأوه.

نعم، إن أساليب الاستفهام متعددة، وإيحاءات ا ثرية متنوعة، تتنوع بتنوع أدوا ا وسياقا ا وتتبين بتتبع استعمالا ا، فلكل أداة مقام ولكل أسلوب مجال، وإذا انتقلنا

إلى القرآن الكريم متتبعين أساليب الاستفهام الواردة فيه، وجدنا أ ا غالبا ما خرجت عن المعاني

الأصلية ،إلى أسرار و أغراض بلاغية أخرى جديرة بدراسة علمية قامت بتفصيلها هذه الدراسة، وحاول تبيان بعض أسباب الإعجاز وسر عجز العرب عن مقابلة كلام الرب، وذلك ما جعل العلماء يقرون منذ العصور الأولى أن القرآن الكريم أعجز العرب عن المعارضة، وحرروا فيه كتبا مُجَّ ودة، كرسائل أبي الحسن الرماني والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.

ويتناول هذا البحث المتواضع "بلاغة الاستفهام ودلالته في القرآن الكريم"

المبحث الاول

البلاغة و النحو

إن اللغة العربية لغة الإسلام، ا نزل القرآن الكريم، ومن أفصح أهلها بعث الرسول رحمة للعالمين ،فهي تبقى ما بقي من الزمان، ولا تفسد كغيرها لاحتمائها بالقرآن ،ولهذا وجدت طريقها إلى نفوس الناس منذ فجر الإسلام، فسارت في ركابه أينما ارتحل، واستقرت معه حيثما حلّ، عشقها المسلمون و احتفلوا ا ،وشمروا عن ساعد الجدّ لتعلمها، فخاضوا في لججها لاكتشاف ما في بحورها، وبذلوا أقصى[١] الجهود في استخراج أسرارها والدرر الكامنة في أغوارها كما ناضلوا عنها، فصوبوا رشاش الألسنة، وسهام الأقلام تجاه كل ما أراد أن يتحامل عليها، أو ينال منها بشيء ،لأن الانحراف فيها يستلزم الضلال في الدين فوجب الدفاع عنها كما وجب الدفاع عن الدين، وقد جاء بإسناد صحيح عن أبي الدّرداء)رضي الله عنه) أنه سمع[١]

النبي)صلى الله عليه وسلم) رجلا قرأ فلحن ،فقال رسول الله)صلى الله عليه وسلم): "أرشدوا أخاكم"

من هنا نجد أن علم النحو سبق أخواته في النشأة لسبق بواعث نشأته دينية كانت أو غير دينية، ورغم أن شأن واضعه مستور بضباب والذي تدور عليه أكثر الروايات أن علي بن أبي طالب)رضي الله عنه)،أو أبو الأسود الدؤلي، ذكر السيرافي أن الناس اختلفوا في أول من رسم النحو، وأكثرهم على انه أبو الأسود[٢]

الدؤلي. وأورد ابن النديم أنه رأى عند الرجل خزانة للكتب العربية في النحو، واللغة والأدب وغيرها بخطوط العلماء وتوقيعا م، ووجد فيها أربعة أوراق بخط يحي بن يعمر فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي [٣]

الأسود (رحمه الله).

وقال القفطي: الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي (4)طالب(رضي الله عنه) .

وقال: وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب [٤]

(رضي الله عنه) ، و أخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الأسود نصر بن عاصم...«

ونحن رضينا ذا الرأي أو بذلك أو لم نرتض بواحد منهما لا نستطيع أن ننكر أن أبا الأسود هو واضع النحو العملي، المتمثل في نقط القرآن الكريم بأمر من زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله، فإنه اختار كاتبا حاذقا فطنا من بني عبد القيس، وأمره أن يأخذ المصحف وصبغا يخالف لون مداد

([١])أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: ، ج2 ص439.

([٢])الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ، 1985 ص33

([٣])محمد بن إسحاق ابن النديم: ا ، بيروت ج60 1978، ص61.

([٤]) الوزين جمال الدين علي بن يوسف القفطي :إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تح محمد أبو ٥٥

المصحف، وقال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فأنقط نقطة فوقه، وإن ضممت شفتي فأنقط نقطة بين يديّ الحروف، وإنكسرت شفتي فاجعل نقطة في أسفل الحروف، فإن أتبعت شيئا من ذلك تنوينا) فاجعل مكان النقطة [1]
نقطتين، فابتدأ المصحف حتى انتهى منه.

تدل على الحكاية على أن زيادا أو ابنه لاحظ تسرب اللحن إلى القرآن الكريم فأمر أبا الأسود بالقيام ذه المهمة، كما تدل على سريان اللحن إلى اللغة نفسها، ولعل هذا السبب ساق رواد النحو إلى أنيعنوا بالناحية اللفظية المتمثلة في إعراب الجمل أكثر من عنايتهم بالمعاني والأغراض التي تختلج في صور المتكلمين، ويؤيده الروايات التي وردت في سبب وضع النحو، منها:

ما جاء عن أبي الأسود أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ (رضي الله عنه)فرأيته مطرقا مفكرا، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال :سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أصنع[2]

كتابا في أصول العربية، فقلت له: "إن فعلت هذا أبقيت فيها هذه اللغة العربية..."

وما جاء عن أبي الأسود نفسه أنه سمع قارئا يقرأ قوله تعالى: إن الله برئ من المشركين ورسوله« بجر كلمة)رسولهِ) فاستأذن زياد بن أبيه في أن يضع للناس رسم العربية أو سمع ابنته تقول متعجبة :ما أحسن السماء؟ على أسلوب الاستفهام، فقال لها: "قولي ما أحسن السماء!" فوضع كتابا في [3]العربية .

أما البلاغة كعلم فقد نشأت رويدا رويدا في أدوار مختلفة بدءا بأمثال أبي عبيدة والجاحظ والسكاكي والخطيب ومن في فلكهم، والمؤكد أن القرآن الكريم كما كان العامل الأساسي في نشأة النحو ،كذلك كان العامل الأصلي في نشأة علم البلاغة، فإذا كان اللحن في النطق و القراءة ساق بعض الغيورين على الدين واللغة إلى وضع علم النحو، فقد دعا الحرص على فهم القرآن الكريم واستكشاف أسراره ومكنوناته الآخرين إلى وضع علم البلاغة، على أنه لا يعني هذا استقلال هذا العامل بنشأة البلاغة، إذ أ انشأت بأسباب و عوامل أهمها :

الجدل الذي أشعلت ناره صدر الدولة العباسية بيت أئمة الأدب علماء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن الكريم.

المناظرات والمحاكاة التي دارت رحاها بين أنصار الشعر الجاهلي من أئمة اللغة والنحو وبين أنصار الشعر المحدث من الأدباء و الشعراء.

الخلاف الذي شجر بين أساطين الأدب وأئمته في وجوه تحسين الكلام فمال بعضهم إلى

([1])الفضل إبراهيم ، 1986 ص4 (5)-

([2])الوزين جمال الدين علي بن يوسف القفطي : ،ص٥٥

([3])الفضل إبراهيم . 1986 ص4

الكلام الرصين الجامع بين العذوبة و الجزالة ومال الآخرون إلى الكلام الموشّى بصنعة البديع.
ومن هنا كان اهتمام البلاغيين بمعاني الجمل وأسرارها أقوى من عنايتهم بصيغها و ألفاظها، فكأن النحاة خففوا عنهم عبء البحث في الصيغ والتراكيب، وهذا لا يعني انفكاك اللفظ عن المعنى، ذلكأن الألفاظ قوالب للمعاني، فالمعاني التي تختلج في صدر المتكلم تستدعي ألفاظا تصب فيها، لأن لا تقوم بنفسها، كما أن الألفاظ العارية عن المعاني مهدرة لا التفات إليها، فالنحويون ولا سيما الأوائل حينما أولوا عنايتهم بالإعراب لم يستغنوا عن المعاني بل لمسوها لمسات خفيفة، ولكنها لم تبلغ حد النظرية التي توصل إليها الشيخ عبد القاهر الجرجاني، فإذا عدنا إلى كتاب شيخ النحاة " سيباويه" وجدنا تلك اللمسات جلية فقد ذكر تقسيمات للكلام تحت عنوان: "باب الاستقامة من الكلام والإحالة" قال فيه: "فمنه مستقيم حسن ،ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح و ما هو محال الكذب. فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك غدًا، وسآتيك غدا، وأما المستقيم الكذب: فقولك : "حملت الجبل"، و"شرب ماء البحر" ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: "قد زيدًا رأيت" ، و"كي زيدا يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس"

أورد سيبويه خمسة أقسام للكلام، وعرف منها : المحال، والمستقيم القبيح، وبيَّ ين ما عاداهما بالأمثلة،فإذا قارّنا بين مثاله عن المستقيم الحسن وبين مثاله عن المحال تجلّى لنا مدى اهتمامه بالمعنى فما الذييجعل)أتيتك أمس) مستقيما حسنا، و) أتيتك غدا) محالا؟ لولا مراعاة المعنى لم يكن بين الجملتين فرق منالناحية اللفظية والإعرابية، لأن كلا منهما مركب من الفعل الفاعل المفعول والظرف ،كما في الشكل التالي :

نوع الجملة	الظرف	المفعول	الفاعل	الفعل
مستقيم حسن	أمس	كَ	تُ	أتَيْ
محال	غدًا	كَ	تُ	أتَيْ

ويقول في باب الإخبار عن النكرة بالنكرة، "ولو قلت: كان الرجل من آل فلان فارسا حَسُن، لأنهقد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان و قد يجهله، ولو قلت كان رجل في قوم عاقلا، لم يحسُن، لأنه لا[1]

يستنكر أن يكون في الدنيا عاقل وأن يكون من قوم، فعلى هذا النحو يحسن ويقبح"

واضح أن الحسن والقبح الذي بنا عليهما سيباويه مثاليه من حيت الدلالة والمعنى كما صرحبنفسه، وأما من الناحية التركيبية والإعرابية ، فإن الجملة الأولى لا تختلف عن الجملة الثانية، لأن كل واحدة منهما تركبت من الفعل الناقص ومعموليه، والجار وا المجرور، واتفقت موقعيه الكلمات في الثانية مع موقعيتها في الأولى ا كما في الجدول التالي:

([1])ابو عثمان عمرو بن سعيد الداني ،دمشق1986 ص4

نوع الجملة	خبره	الجار والمجرور	إسمه	الفعل الناقص
حسنٌ	فارسا	من آل فلان	رجل	كان
قبيح	عاقلا	من قوم	رجل	كان

أمثال هذه اللمسات الدقيقة أدت بالبعض إلى جعل سيباويه واضع علم المعاني والبيان وقد سلك غيره من النحاة الأوائل مسلكه، ورأوا رؤيته للجملة، فهذا ابن جني اللغوي يقول في تعريف النحو:

"هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق ا وإن لم

يكن منها، وإن شذ بعضهم عنها ردّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك: قصد تقصدًا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء، أي عرفته ،ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أن بيت الله خص به الكعبة، وإن كانت البيوت كله الله، وله نظائر في قصر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه.

أي أن النحو يتناول جانب التركيب والإعراب)فهو صلاح الألسنة) كما يتناول جانب الغرض والمعنى، فيه نكتشف حجب المعاني، وجلوه المفهوم". وإذا رجعنا إلى تعريف البلاغة وجدنا أبا العباس المبرد يقول: "حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى،واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها ،وأن يقارب ا البعيد،

ويحذف منها الفضول". ويقول أبو هلال العسكري: "البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها،وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأ ا تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه".

فيرى الشيخ عبد القادر الجرجاني أن البلاغة ترجع إلى النظم، ويعرف النظم بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي جت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنَّ ا لا نعلم شيئا يبتغيه [1]

الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، وينظر في الخبر إلى وجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، ومنطلق زيد...

([1]) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، بيروت ص459.

وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: أن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج...وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعًا، وجاءني يسرع، وجاءني وهو
يسرع...فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له "

وبالتوقف عند هذه التعريفات الثلاثة يتبين للناظر أن البلاغة تتضمن النحو، العبارة عن قول يحيط بالمعنى، أو ينهي المعنى إلى قلب السامع، والقول الخطأ نحويا لا يوصّل المعنى المراد إلى متلقيه، ولهذا لاحظ الشيخ عبد القاهر فعرّف النظم بمراعاة قوانين النحو أصوله.

فإن قيل: ما الفرق بين علم النحو وعلم البلاغة؟. نقول :

إن الحدود الفاصلة بينهما واضحة تفهم من كلام عبد القاهر، وكلام من بعده، فكل من بعده،فكل من النحو و البلاغة يرتبط بالكلام وصحته، وأن ما صح بلاغيا صح نحويا، وليس كما صح في النحو صح في البلاغة، فهي أخص من النحو على الإطلاق، يقول السبكي: "كل ما وجب لغة وجب بلاغة وليس[١]

وجب بلاغة وجب لغة" فإن البلاغة تم بالمعاني الثانوية بعد الصحة النحوية، يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: "وإذ قد عرفت أن مدار النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأ ا أن تكونيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، و اية لا تجد لها ازديادًا بعدها، ثم اعلم أنليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي
يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها مع بعض، واستعمال بعضها مع بعض

أرجع الشيخ المزية والحسن في الكلام إلى الوجوه والفروق التي يرد ا من تعريف أو تنكير، أو تقديم أوتأخير، أو حذف أو زيادة أو غير ذلك، بشرط أن يكون الوجه الذي بني عليه الكلام يستدعيه الغرض،ويتطلبه الموقع، فلا حسن لوجه على إطلاقه.

وإذا رجعنا إلى السكاكي الذي يعد خاتمة المطاف في البلاغة وجدناه قد قسم كتابه)مفتاح العلوم) إلى ثلاثة أقسام: الأول في علم الصرف، والثاني في علم النحو والثالث في علم المعاني والبيان وبَّ ينَ السبب من هذا التقسيم، وهو أن الغرض الأول من علم الأدب الاحتراز عن الخطأ في الكلام العرب، وأن شارات الخطأ ثلاثة: المفرد والتأليف وكون المركب مطابقا لما يجب أن يتكلم له، وهذه الأنواع هي التي يرجع إليها في كفاية[٢]ما لم يتخط ذلك إلى الشعر.

ثم إذا قابلنا تعريفه لعلم النحو بتعريفه لعلم المعاني تبيّن لنا الإجمال المتقدم في الفرق بين العلمين

([١])مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس أبادي ،2001 ص1056 .

([٢])ابن منظور : لسان العرب، ج2، 459-460.

ويقول في تعريف علم النحو: "هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعاني مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"فالنحو عنده: علم يعرفنا كيفية تركيب الكلمات لتأدية أصل المعنى مطلقا وهو المعنى الأول

للكلام، وفائدة هذا العلم الاحتراز عن الوقوع في الخطأ في كيفية تراكيب الجمل، وأما علم المعاني فيعرفنا خواص التراكيب و ما يرتبط ا من الاستحسان أو الاستهجان، وهي المعاني الثانوية للكلام، وفائدة هذاالعلم الاجتناب عن الوقوع في إيراد على مقتضى الحال، فإذا أراد أحد الإخبار عن وجود رجل في الدار
مثلا: فإنه يقول: في الدار رجُلُ ولا يقول: رجل فيْ الدار، لأن كلمة (رجل) نكرة، ولا يبتدئ ا إلاّ بمسوغ،كأن يكون الخبر مختصا جارا ومجرورا، أو ظرفا، وتقدم على المبتدأ.
هذه هي الحدود التي توضع معالم كلا من العلمين، لأن تحقيق الجمال المعنوي المنشوء في الكلام حسب رأي جندي درويش: "لا يتأتى إلا بأن تكون الأوضاع النحوية للألفاظ ملائمة لما يقتضيه المقام منالتعبير عن المعاني المختلفة وذلك هو ماْ اختص ببحثه علم المعاني، وأن ذلك العلم لم يستوعب في بحوثه كلالأوضاع النحوية وأسرار بلاغتها، على أن الأوضاع النحوية لا يمكن أن تتسع وحدها للدلالة المباشرة على كل ما تقتضيه المقامات المختلفة في المعاني التي لا حصر لها، فهناك كثير من المعاني لا يمكن أن تؤدّى إلا بمعونة السياق وقرائن الأحوال وعلم المعاني هو الموكول إليه أيضا البحث فيما يمكن أن يستفاد من الكْلام ضمنا بمعونة القرائن وملاحظة السياق، وكلما كان التعاون طبيعيا وبعيدا عن التكلف والشذوذ، ازداد الكلام [1] روعة وجمالا".
إن التطرق للبلاغتين العربية والغربية قديما يجعلنا نقف على نقطتين هما:

- أن البلاغة الغربية قديما لم تكن مطلقا تعرف وجود التواصل بينها وبين النحو، مما جعل علم [2] الأسلوب يحل محلها، بل اعتبره البعض الوريث الشرعي" لم تكن دف إلى أكثر من جعل الفكرة [3] محسوسة ومن هذا المنطلق نقول أن البلاغة الغربية في العصور الوسطى لم تكنسوى حارس أمين على الأسلوب التقليدي المنسق، بينما تترك للنحو مجال تحديد المعنى للاستخدام الصحيح للأبنية اللغوية وتعنَى فحسب بتلك الأبنية التي يتميز بقية جمالية أو تعبيرية خاصة".

- أن البلاغة العربية كما قدمها التراث، اهتمت بالجانب المعنوي والجانب الجمالي وقيمه التعبيرية معًا، فهي كالقطعة النقدية التي إذا اطلعت على وجهها الأول وجدته فيها المعنى وإذا اطلعت على

([1])جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة 1982 ص349.
([2]) محمد بن علي الصّبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ، ص159.
([3])نور الدين على بن محمد الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ص55.

وجهها الثاني وجدت الشكل التعبيري والجمالي فيه وهذا ما جعل البلاغة العربية تكون على طليعة باقي البلاغات الأخرى[1].

وإذا أردنا معرفة الأسبقية الزمنية لنشأة العلمين، فإن الرجوع إلى التاريخ يثبت لنا أن الدراسات البلاغية بدأت متأخرة زمنيا عن الدراسات النحوية، وهذا التأخر كان طبيعيا، ذلك أن النحو جاء لخدمة هدفين كبيرين هما:

المحافظة على اللغة العربية من اللحن الذي بدأ يتفشّى في أوساط ا تمع العربي، لاسيما التخوف من أن يمس هذا المشكل العويص كتابه الله عز وجل.

كان هدفا تعليميا وهو وضع قوانين تساعد الأعجام المسلمين على تعلم لغة الدين والدولة ،وهي في الوقت نفسه لغة العرب المالكين للسيادة، فهم أعيان ا تمع وأسياده، من ثم كان تعلم الأعاجم المسلمين لهذه اللغة أمرا حتميا.

وهذه هي الأسباب التي جعلت علم النحو يتصدر أسبقية النشأة، ولم تكن البلاغة لتخدم هذين الغرضين ولذلك تأخر ظهورها بالنسبة إلى النحو، والذي جعل مجيء البلاغة بعد النحو أمرا طبيعيا أيضا هو أهداف وضع علم البلاغة.

كما حددها الدارسون وهما أيضا هدفين: [1]

- الوقوف على أسرار البلاغة في النصوص الفصيحة خصوصا القرآن الكريم.
- الوقوف على إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصهُ الله به من حسن التأليف وبراعة [2]

التراكيب وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلامة والنحو بدوره لم يكن ليفي بالغرض للوصول إلى هذين الهدفين، فكانت بذلك المهَّدَ مةُ للبلاغين.

وفي الأخير يمكن القول إن البلَاغين بدؤوا بعلم النحو وانتهوا بعلم المعاني، وقد تبين ذلك في العلاقة القائمة بين علم النحو والمعاني، فهما كما ذكر سابقا علمان يكمل أحدهما الآخر، حتى إن من العلماء اليوم من يدعو إلى ضم أحدهما إلى الآخر، ويرى[1] في الفصل بينهما إخلالا بمنهج الدراسة اللغوية،(30) وخطأ تربوي في حق أجيال متعلمي العربية ومريديها .

ولعل أبرز الدّاعين إلى هذه النقطة "مازن المبارك"، لهذه الأسباب كان تأثر البلاغيين بالنحاة على الخصوص والأخذ عنهم أمرا لابد منه لإقامة صرح علم المعاني وبنائه هذا البناء المتين، إلاّ أننا لا نعدم أن نجدللبلاغيين بعض الأمور التي تخصهم، أو التي خالفوا فيها أو في بعض جوانبها علما النحو واللغة.

([1])محمد محي الدين عبد الحميد: ، 1996 ص113.

([2]) عمرو بن عثمان بن قنب: ، 1983 ص 99.

المبحث الثاني

I- الاستفهام في اللغة:

للكلام نوعان أساسيان: الخبر و الإنشاء

والإنشاء يتضمن ضمن فروعه الاستفهام، بل ويكون هذا من أهم فروعه، لأن الإنسان منذ وجوده، وبحكم غريزته مدفوع إلى الاستطلاع والبحث فيما يحيط به من الكائنات بالتأمل والتفكر، وإن عجز فبالاستفهام والتساؤل، فلا غَرْوَ أن يهتم العلماء - سلفا خلفا- بالبحث في الاستفهام وأن يسجل النحاة ملاحظا م حول أساليبه، ويصبوا الَّ صوَى ا على طريق السالكين في دربه، ومن هنا نحاول الإلمام بأهم جوانبه من أساليبه وأدواته وجمالياته لدى البلاغيين و النحاة.

أولا: تعريف الاستفهام:

الاستفهام لغة:

الاستفهام مشتق من "الفهم"و معناه: العلم والمعرفة بالقلب . [1]

يقال: فهمت الشيء أفهمه بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع. فهْمًا، فهَمًا وفهامة وفهامية

، فأنا فاهم.

وأفـهَمْتُ فلانا الكلام وفَّ همْتهُ إياه: جعلته يفهمه، وتفهمت الكلام: فهمته شيئا بعد شيء، و"فهْمٌ" اسم لابن عمرو بن قيس بن عيلان، ويقال لسريع الفهم: فهْم وفهَم وفهِم بسكون الهاء وفتحها وكسرها.

واستفهمت فلانا الكلام: طلبت منه أن يفهمني إياه، فأفهمني، وفهّمني إياه، أي أنّ الاستفعال هنا للطلب ونظيره: الاستخبار، هو طلب خبر ما ليس عند المستخبر، فهو مثل الاستفهام لفظا ومعنا، وإنفرق بعضهم بينهما بجعل الاستفهام أخص من الاستخبار لأن المستخبر يُجاب بشيء، قد يفهمه، أو لا يفهمه، فإذا سأله ثانية فهو مستفهم يقول أفهمني ما قلته لي.

الاستفهام اصطلاحا:

طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه.

ثانيا: أدوات الاستفهام:

تبلغ أدوات الاستفهام في اللغة العربية ثلاث عشر أداة، وتنقسم إلى قسمين:

أ- الحروف: وعددها ثلاثة، هي: الهمزة، أم وهل

ب-الأسماء: وعددها عشرة، وهي: من، ما، ماذا، كم، كيف، أَّ نى، متى، أيان، أين، وأُّ يفأما الهمزة فهي أم الباب، وليس للاستفهام في الأصل غيرها، ولهذا امتازت بعدم خروجها من هذا

([1]) عثمان أبو فتح بن جني: ص 300.

المعنى إلى سواه، وأما غيرها من الأدوات فأفادت الاستفهام لتضمنها معنى الهمزة ولهذا السبب بنيت أسماء الاستفهام ما عدا (أيا) وقد عبّر عنه ابن مالك بالشبه المعنوي بعد أن حصر وجوه بناء الاسم في مشاة الحرف فقال:

والاسم منـه معـرب و مبني لـشبه من الحروف مـدني

كالشبه الوضعي في اسمى جئتنا و المعنـوي في متى وفي هنـا

وأما أيّ الاستفهامية فمعربة حملا على "البعض" و"الكل" أو لضعف الشبه بما عارضه فيها من لزوم
الإضافة.

ثالثا: صدارة أدوات الاستفهام:

أدوات الاستفهام تشترك كلها في صدارة الكلام، ماعدا "ماذا" فإ ا على ما جوّزه الكوفيون لا تجب لها الصدارة في الكلام، فيجوز أن يعمل فيها ما قبلها من العوامل ،وقد رجّح رأيهم محمد محي الدين، استدلالا بحديث عمرو بن العاص أنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: ابسط يمينك لأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي، فقال:" مالك يا عمرو؟" قلت "أردت أن أشترط" قال تشترط [1]
ماذا؟...الحديث"

فإن كانت الأدوات حروفا فلا محل لها من الإعراب، أما الهمزة وهل" فتدخلان على الجمل إسمية كانت أم فعلية، وقد ورد في كلام العرب حذف بعض أجزاء الجملة الداخلة عليها الهمزة لوجود القرينة الدالة

على المحذوف، مثل: أقعودًا وقد سار الناس؟ أي أتقعد قعودا وقد سار الناس؟

وقال الشاعر: أطربـا و أنت قنسري والدهر بالإنسان دوّاري؟ أي : أتطرب طربا؟

وأما "أم" فتدخل على المفرد كثيرا، ثم على الجملة نحو: أمحمد عندك أم عليّ؟

ونحو قوله تعالى: أأَنـتم تَخْلقُونهُ أم نَحْن الْخالِقُونَ« البقرة) وإن كانت الأدوات أسماء فلا يعمُل فيها ما قبلها من العوامل، إلا حروف الجر لتنزلها من مدخولها منزلة الجزء من الاسم، فلا تقوم بنفسها ولا تؤخذ

نحو: بمن مررت وإلاّ المضاف لأنه والمضاف إليه كالكلمة الواحدة ولهذا تحذف الألف واللام من المضاف لاستغناء الإضافة عنها، إلاّ في الإضافة غير الحقيقة، كما يحذف من المضاف التنوين لوقوع المضاف
إليه موقعه.

وقد ذكر سيباويه عند حديثه في الوقف على "ما" الاستفهامية اروورة أمثلة للإضافة إليها، فقال:

([1]) أبو عبد الله محمد بن مالك الأندلسي: ،2003 ص 13.

"وأما قولهم: مجيء م جئت؟" ومثل م أنت؟ فإنك إذا وقفت ألزمتها الهاء، ولم يكن فيه إلاّ إثبات الهاء، لأن مجيء ومثل يستعملان في الكلام مفردين، لا ما إسمان" ثم إن تلك الأسماء قد تكون في محل رفع، أو محل نصب، أو محل جر، فما يكون في محل رفع قد يكون مبتدأ، نحو: ما عندك؟ ومن في الدار؟ وأيّ أستاذ [1]

في الصف؟ وقد يكون خبرا مقدما نحو: من قابلت؟ أو مفعولا فيه نحو: متى تسافر؟ أو مفعولا مطلقا، نحو قوله تعالى: وَسَيعْلم الَّ ذِين ظلمُوا أيّ َ مُنقَلب ينقَلبونَ« ، أو حالا نحو: كيف أقبل زميلك؟

وما يكون في محل جُر قد يكون الجار حرف جر، نحو:لم تأخرت؟ وقد يكون مضافا نحو: كتاب من قرأت؟

رابعا: أسلوب الاستفهام بالهمزة:

الهمزة من حروف الاستفهام، وهي أم الباب والأصل فيها أن لا يليها إلاّ الفعل، إلاّ أم توسعوا فيها، فأجازوا مجيء الاسم بعدها، لأصالتها في باب الاستفهام ، فيجوز أن يقال: أحضر محمد؟ ،أمحمد حضر؟، أمحمد قائم؟ وأقائم محمد؟، ويجوز أن تدخل على الجملة المنفية كما تدخل على الجملة المثبتة، نحو:

ألم يحضر عليّ؟

وإذا كانت الهمزة في جملة معطوفة "بالواو"، أو "الفاء" أو "ثم"، سبقت تلك الحروف مثل قوله تعالى :أوَ كُلَّ مَا عَاهَدُوا عهْدًا نبذَه ُ فريقٌ مِنهُمْ«

وقوله سبحانه: أفمَن كَانَ عَلى بيِّ نةٍ مِن ربِّ ه و يتلوه شَاهِدٌ مِنْهُ« وقال عز وجل: أثُمَّ إذَا مَا وقعَ آمَنتم بهِ«(85)

وإذا وليت همزة الاستفهام همزة قطع، فإن كانت مفتوحة جاز في الأسلوب أوجه أشهرها:

تحقيقهما معا نحو قوله تعالى: أَ ن الَّ ذِين كَفَروا سَوَاءٌ عَليهِم أأنذَرتهُم أم لَم تنذِرْهُمْ لا يؤْمِنون«

تحقيق الأولى وتخفيف الثانية، أي تليينها نحو:" أأنذر م".

تحقيق الهمزتين، وإدخال ألف بينهما نحو:"أ أنذر م".

تحقيق الأولى وإبدال الثانية ألفا نحو: "أانذر م".

تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وإدخال ألف بينهما نحو: "أانذر م"

حذف الأولى وإبقاء الثانية نحو: "أنذر م"

وإن كانت همزة القطع مضمومة جاز في الأسلوب أوجه:

تحقيق الهمزتين، نحو: أأكرمك؟

([1])جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تح عبد العال سالم مكرم،ط1 ج7، مؤسسة الرسالة، بيروت1985ص43.

تحقيقها وإدخال ألف بينهما، نحو: أاأكرمك؟ج- تحقيق الأولى وإبدال الثانية واوًا مضمومة، نحو: أوكُرمك؟

د/تحقيق الأولى، وإبدال الثانية واوًا مضمومة وإدخال الألف بينهما نحو: أوكُرمك؟ وإن كانت همزة قطع مكسورة جاز في الأسلوب أوجه:

تحقيق الهمزتين نحو: أإنك ذاهب؟ (١)

تحقيقها وإدخال ألف بينهما نحو: أانك ذاهب؟

تحقيق الأولى وإبدال الثانية ياء مكسورة، نحو :أينك ذاهب؟

تحقيق الأولى، وإبدال الثانية ياء مكسورة وإدخال ألف بينهما، نحو: أاينك ذاهب؟

وإذا وليت همزة الاستفهام همزة وصل، فإن كانت همزة(ال) مدّت، نحو قول الله تعالى: آللَّ هُ خَيرٌ أَّ ما

يشْرِكونَ« ، وإن كانت غيرها حذفت ،نحو قوله تعالى : أصْطفَى البناتِ عَلى البنينَ«

وقد ورد في كلام العرب حذف همزة الاستفهام والإستغناء عنها بأمار (أم) المتصلة التي تأتيمعادلة لها على المعنى)أُّ ي)

قال امرؤ القيس: تروح من الحيّ أم تبتكر؟ وماذا عليك بأن تنتظر؟

وقرأ ابن محيصن قوله تعالى:أَّ ن الَّ ذِينَ كَفَروا سَوَاءٌ عَليهِمْ أأنذَرتـهُمْ أمْ لَمْ تـنذِرْهُمْ« بحذف همزة الاستفهام وقد تحذف همزة الاستفهام من الكلام للقرينة المعنوية، وإن لم يكن فيه)أم) نحو قولا لكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منّى وذو الشيب يلعبأي: أ ذو الشيب يلعب؟

وما جاء من سؤال أبي ذٍّ ر رضي الله عنه في الحديث، قال: قال رسول الله صلى الله وسلم: ما من عبد قال: لا اله إلاّ الله، ثم مات على ذلك، إلاّ دخل الجنة« قال أبو ذَرْ: قلت: وإن زنى ا وإن سرق؟ قالوإ زنى ا وإن سرق« فقول أبي ذر سؤال، تقديره: أوَ إن زنى ٍ ا وإن سرق؟

ويجوز أن يلي همزة الاستفهام الشرط نحوه قوله تعالى: أَ إنْ ذٍّ كرتُم ْ بلْ أنـتم ْ قـوْمٌ مُسْرفُونَ) .

كما يجوز أن يليها إنّ« مثل قوله تعالى: قالوا أإنكَ لأنْتَ يوسُفُ « فإن وليها الشرط، فالاستفهام في الحقيقة للجزاء نحو قوله تعالى: أفإنْ مِّ ت فـهُمُا لْخالدُونَ« أي :أفـهُمْ الخالدون إن مت؟

خامسا: أسلوب الاستفهام ب"أم" :

"أم" حرف يستفهم ا على أوجه:

---

(١)أحمد بن فارس: الصاحبي تح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ص292،

الأول: أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام على معنى "أيّ" نحو: أمحمد عندك أم علٌ ي؟ أي: أيهما عندك؟ وأحامد قابلت أم خالدًا؟ أي: أيهما قابلت؟ فالجواب عن "أم" يكون بتعيين المسئول عنه، كما هو الحال في الاستفهام ب "أيّ" [1]

ولا يكون ب"نعم أو لا" ذلك أن المستفهم يدّعي وجود أحد الشيئين عند المخاطب، ويجهل تعيينه، فهو في المثال الأول يدّعي وجود أحد الشخصين، محمد أوعلي عند مخاطبه ويجهل تعيينه، فلو كان الأمر على غير دعوى المستفهم لكان الجواب بالرد، فيقال في الجواب: ليس عندي أحد منهما.

الثاني: أن تكون منقطعة على معنى (بل) للإضراب ا رد، أو التي تتضمن مع ذلك الاستفهام مثلقوله تعالى :هَلْ يسْتوي الأعْمَى وَ البصِيرُ أمْ هَلْ تسْتوي الظُّ لمَاتُ وَ النُّ ورُ أمْ جَعَلوا للَّ هِ شُركَاءَ خَلقُوا

كَخَلقِهِ فتشَابَهَ الْخلْقُ عَليهِمْ [2]

وقول العرب: "إّا لإبل أم شاة أي: بل أهي شاة؟ فبعد أن أخبر عن اليقين طرأ عليه الشك بأن تكون شياها أضرب عن الخبر، فقال مستفهما: "أم شاة"

الثامن: أسلوب الاستفهام بـ "ما" :

هو إسم مبهم، يستفهم ا عن كل ما لا يعقل من حيوان، أو نبات أو جماد أو غيرها وعن صفات ما يعقل، نحو: ما هذا؟ وما عملت؟ وما هشام؟ وجوابه هو فقيه مثلا .

ويجوز أن يستفهم ا عما يعقل إذا أقيمت الصفة مقام الموصوف، نحو: ما عندك؟ جوابه: خالد، وذلك على إقامة)ما) وهي للاستخبار عن الأوصاف مقام)من) في الاستخبار عن المعارف، قياسا على إقامة الصفة مقام الموصوف في الأخبار ، وقد جاء في القرآن الكريم وكلام العرب إقامة (ما) مقام [3](من) في الأخبار، قال تعالى:وَالَّ سمَاءِ ومَا بـناهَا« فقل عن أبي عبيدة أ ا في هذا الموضع بمعنى

)من).

([1])إسماعيل بن حماد: الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية، تح عبد الغفور عطار ج5، ط3، دار العلم بيروت1984 ص٤٤

محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح حسن حمد، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 188 .

الخليل بن أحمد الفراهيدي: الجمل في النحو، تح فخر الدين قباوة، ط1 مطبعة أمير قم، إيران 1979 ص 87.

ينظر علي بن عيسى الرماني: معاني الحروف، تح عبد الفتاح إسماعيل شلبي ط2 مكتبة الطالب الجامعي مكة،1986ص70.

([2])ينظر عبد الله بن على ابن إسحاق الصيمعي :التبصرة والتذكرة، تح فتحي أحمد مصطفى، ج1، ط1 دار الفكر دمشق1982 ص47 ومحمد جمال الدين بن مالك: شرح الكافية الشافية، تح عبد المنعم أحمد هريري، ج1، ط1 ، دار المأمون للتراث1982 ص 368.

([3])وجمال الدين عبد الله بن هشام يوسف الأنصاري: مغني اللبيب في كتب الأعاريب تح مازن المبارك ومحمد علي ج1 1989 ص62.

وقال العرب:" سبحان ما سبح الرعد بحمده ، وسبحان ما سخّركن لنا" ، وإذا عطف اسم على مدخول (ما) كان المعطوف مرفوعا عند الأكثر ، نحو قول المخَبل السّعدي : يازبرقان أخا بني خلف ما أنت ويل أبيك والفخر؟

ويرى البعض أن المعطوف يكون منصوبا بفعل مضمر، كما حكاه ابن مالك: وبعد ما) استفهام أو كيف نصب، بفعل كون مضمر بعض العرب، وإذا جرت (ما) الاستفهامية بالحرف، أو بالاسم حذفت ألفها، نحو قوله عز وجل: عمَّ يتسَاءلونَ« ونحو: جلوس م جلست؟ فإذا أريد الوقوف عليها وهي مجرورة، فإن كان الجار حرفا فالأجود أن تلحقها هاء الوقف، نحو: حتامه؟ وقال قوم: حتام؟ وإن كان الجار اسما وجب عند الوقف عليها إلحاق الهاء ا، نحو: جلوس مه؟ وقال ابن مالك:

وما في الاستفهام إن جرت حذف ألفهـا، وأولـها الـهاء إن تقف

وليس حتما في سوىٰ ما انخفضـا باسم، كقولك: اقتضاء م اقتضى؟

وربما حذفت ألفها، وألحقت الهاء ا وقفا وهي غير مجرورة كحديث أبي ذؤيب:" قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام، فقلت: مه، فقيل: هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله: (مه) أي ما الخبر؟ إلاّ أنه حذفت ألفها، ثم ألحقت ا هاء السكت للوقف.

وقرر الزمخشري في معرض كلامه على (ما) أن الهاء بدل من الألف، فقال:" ويصيب ألفها القلب والحذف، فالقلب في الاستفهامية جاء في حديث أبي ذؤيب: قدمت المدينة، ولأهلها ضجيج بالبكاء..." وأفاد ابن يعيش أن كثرة استعمال هذه الكلمة (ما) وتشعب مواضعها والاتساع فيها ساقت العربإلى الاجتراء على ألفها بالقلب تارة، وبالحذف أخرى، فالقلب في الاستفهامية، نحو:)مه) فقلبوا الألف هاء، لأ ا من مخرجها وتجانسها في الخفاء، إلاّ أ ا أبين منها. قال الراجز:" قد وردت من أمكنة – من ههنا ومن

لٰتهـ- إن لم أروها فمه" أي: فما أصنع .

لا شك أن ما علل به قلب الألف هاء غير مقبول، لأن الهاء تخالف الألف في المخرج والصفة كما أثبته بعض القدماء والمتأخرين.

نقل الإمام محمد الجزري عن الخليل أنه لم يذكر حرف الألف في حروف الحلق.

أي أن مخرجها غير مخرج الهاء عنده، والهاء صوت حنجري، يندفع الهواء عند النطق ا من الرئتين ماراً

بالحنجرة، محدثا نوعا من الحفيف، لا يتحرك الوتران الصوتيان، فهي صوت رخو مهموس وأما الألففصوت إنفجاري يمر الهواء عند النطق ا حرا طليقا خلال الحلق والفم، دون أن يتعرض طريقه عائق، ودون أن يضيق مجرىٰ الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا .

التاسع: أسلوب الاستفهام بـ "ماذا":

هي اسم مركب من حرفين)ما) و)ذا) كل منها صارت جزءا ل)ماذا)، ولهذا لا تحذف ألف (ما) إذا جرت (ماذا) وقد جاء عند العرب: عمّ اذا تسأل؟
ويستفهم ا عن غير العاقل، كقوله تعالى: ويسْألونكَ مَاذَا يـنفِقُونَ؟ قلِ العفْوَ«، وقد قرأت الآية الكريمة برفع (العفو) وبنصبها ، فمن قرأها بالرفع جعل (ما) استفهامية، و (ذا) اسم موصول،و)ينفقون) صلته، ومن قرأها بالنصب، جعل (ماذا) كلمة واحدة في موضع النصب مفعول به ل)ينفقون)
والتقدير: أي شيء ينفقون؟ فجاء الجواب:)قل العفو) أي قل ينفقون العفو وقال جرير:
يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن إلى الدّيرين تحنانا
على أن يجوز في جواب نحو: ماذا رأيت مع اعتبار)ماذا) كلمة واحدة للاستفهام أن يقال : خير، أي ما رأيت خير، ولكن الأفضل أن يقال: خيرا، أي، رأيت خيرا، لأنه يوافق سؤال المستفهم .
عاشرا: أسلوب الاستفهام بـ " أيّ": [1]
هي اسم يستفهم ا عن العاقل، وغير العاقل، وتلزم الإضافة معنى ، قال الزمخشري:"ولاستيجابه الإضافة عوضوا منها توسيط المقحم بينه، وبين صفته في النداء، فإذا أضيفت إلى معرفة أضيفت إلى مثنى أو مجموع ، ولم تضف إلى مفرد إلا مكررة، أو ينوي به الأجزاء، ليصح فيه معنى البعضية [2]
، نحو: أي الطالبين أخوك؟ وأي الطلاب ابنك؟
وقول العرب أيّ وأيك كان شرا فأخزاه الله!؟ والمعنى: أينا كان شرا فأخزاه الله!
ونحو: أيّ محمد حسن؟ أي: أيّ أجزاءه حسن
وإذا أضيفت إلى نكرة جاز أن يكون المضاف إليه مفردا، أو مثنى أو مجموعا، نحو: أيّ طالب نجح ؟وأيّ طالبين نجحا؟ وأيّ طلاب نجحوا؟ ذلك أضيفت إلى معرفة كانت كبعض، وإذا أضيفت إلى نكرة كانت ككل، وكل ما وقعت عليه فتفسيره يكون مزة الاستفهام، و)أم) فنحو: أيّ الطالبين أخوك؟
تفسيره:
أهذا أخوك أم هذا؟
الحكاية ب "أيّ" الاستفهامية: إذا استفهم ب(أيّ) عن نكرة أعربت على الحكاية إعراب الاسم المستفهم عنه فإذا قال: رجل:جاءني طالب، قيل له أيّ يا رجل؟ وإن قال: رأيت طالبا: قيل له: أيا يا رجل: وإن قال: مررت بطالب، قيلله : أيّ يا رجل؟ وفي التثنية يقال: أيان؟ في حال الرفع، ويقال : أيين؟ في حالتي النصب والجر، وفي الجمع يقال: أيون؟ في حالة الرفع، ويقال : أيين ؟ في حالتي النصب والجر، كما يحذف تنوين "أيَّ ةً" و"أيات"
مطلقا، أما نون المثنىٰ وا موع فتسكنان .

([1])أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان، المعاني و البديع، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت ص7-8.

([2])عمرو بن عثمان بن قنبر سيباويه: الكتاب تح عبد السلام محمد هارون: ج1،ط3، عالم الكتب. لبنان،1983،ص25،26.

الحادي عشر: أسلوب الاستفهام بـ "كم":
هي أسم مبهم يستفهم ا عن العدد، وتنصب ما بعدها على التمييز نحو: كم قلما عندك؟
وقد اختلف النحاة في تركيبها فذهب البصريون إلى مفردة، وقال الكوفيون: إ ا مركبة من ما) والكاف الزائدة، واستدل البصريون بأن الأصل عدم التركيب، ولا سيما في كلمة مكونة من حرفين، مثل (كم)
وقال الفراء: " نرىٰ أن قول العرب: كم مالك؟ (ما) وصلت من أولها بكاف، ثم إن الكلام كثر ب (كم) حتى حذفت الألف من آخرها، وسكنت ميمها كما قالوا: لِمْ قلت ذاك؟ ومعناه (لِمَ) ولما قلت؟
قال الشاعر: يا أبا الأسود لم أسلمتني لهموم طارقات وذكر
وقيل لبعض العرب: "مذكم قصد فلان؟ فقال كمذ أخذت في حديثك، فزيادة الكاف في (مذ) دليلعلى أن الكاف في (كم) زائدة"وقد دارت المناقشات بين الطرفين في المسألة، كل صوب رأيه وأبطل رأىٰ مخالفه، فترجحت آراء
العلماء فيها، تطرق ابن فارس للموضوع ومال إلى رأي الكوفيين وتوسع الأنباري والعكبري في ذكر أدلة الطرفين ونقاشها، ورجّحا رأي البصريين كما رجّحه غيرهما.
وبعد دراسة أدلة الجانبين ظهر لي من وجهة نظري أن رأي البصريين أرجح، وذلك:
1-أن ثبوت التركيب في بعض الكلمات لا يوجب التركيب في ما عداها.
2- أن (كم) و)ما) تختلفان في المعنى، ف(كم) سؤال العدد، و(ما) سؤال عن الحقيقة. [1]

تمييز كم" الاستفهامية:

تمييزها كتمييز عشرين وشبهه يكون مفردا منصوبا، نحو: كم طالبا في الصف؟ إلا أن يدخلها حرفجر، فيجوز فيه وجهان: [2]
الأول: النصب على التمييز، نحو: بكم درهما اشتريت قلما؟
الثاني: الجر على إضمار "من" بكم درهما اشترت قلمك؟ على أن جر تمييز)كم) بإضمار (من)
إذا دخلها حرف جر غير مستحسن قال سيباويه:" وسألته –الخليل- عن قوله: على كم جذع بيتك مبني؟فقال : القياس النصب، وهو قول عامة الناس، فأما الذين جروا، فإ م أرادوا معنى "من" ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفا على اللسان، وصارت على عوضا منها" وقال المبرد والبصريون يجيزون

([1])أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار ج1، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت ص 34.

([2])المصدر السابق ج1 ص 54

على قبح، على كم جذع؟... ويريدون : على كم جذع؟ ... فإذا لم يدخلها حرف الخفض فلا اختلاف في أنه لا يجوز الإضمار، وليس إضمار من" مع حروف الخفض بحسن[1]
ولا قوى وإنما إجازته على بعد، وما ذكرت لك الحجة ما أجازه" والأصل في تمييزها أن يكون متصلا ا، ويجوز أن يفصل بينهما، فإذا فصل بينهما فلا يجوز في التمييز إلاّ النصب، نحو: كم لك ابنا؟ وبكم يوم الخميس طالبا مررت؟ ويجوز أن يحذف مميز (كم) نحو: كم قلمك؟ أي : كم درهما قلمك؟ وكم أولاد لك؟ أي كم ولدًا أولادك؟

الثاني عشر: أسلوب الاستفهام بـ "كيف":

هي اسم يستفهم ا عن حال الشيء وهيئته نحو: كيف أنت؟ وكيف وجدت علم النحو؟وفيها لغة أخرىٰ، وهي "كي" قال الشاعر:

كي تَجنحُون إلى سلم وما ثئرت قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرموالاستفهام بـ (كيف) يكون عن النكرة فلا يكون الجواب إلى نكره، فيقال في جواب: كيف أنت؟ صحيح،
ولا يقال: الصحيح وما تقدم من كون)كيف) إسما رأىٰ جمهور النحاة، وعلى رأسهم الأخفش والسيرافي، ويرى سيباويه
ومن اتبعه أ ا ظرف، قال سيباويه: "وكيف على أي حال" ، وقد ناقش هذا الرأي ابن يعيش وغيره، وأثبتوا مرجوحيته، قال ابن يعيش)ما معناه): إ ا إسم غير ظرف، وإن أدّىٰ أحيانا معناها معنى: على أيّ حال والدليل على ذلك: أن البدل منها الاسم، نحو: كيف أنت؟ أصحيح أم سقيم، وأن الجواب يقعبالاسم فيقال في جواب من قال: كيف أنت؟ صحيح، أو سقيم أو نحوهما، ولو كانت ظرفا لوقع البدل منها، والجواب عنها بالظرف، على أنه يجوز أن يجاب عن السؤال السابق على المعنى، لا على اللفظ، فيقال: على حال الصحة، كما يجوز أن يجاب عن نحو: على أيّ حال أنت؟ ب (صحيح) نظرا إلى المعنى، وإن كان [2]

اللفظ يقتضي أن يقال : على الصحة .

وانتصر ابن هشام لا سمية)كيف) فبعد أن أورد رأي ابن مالك في الموضوع، فقال: " وهو حسن، ويؤيده الإجماع، على أنه يقال في البدل: كيف أنت؟ أصحيح أم سقيم؟ بالرفع، ولا يبدل المرفوع من المنصوب" .

([1])محمد عبد اللطيف حماسة: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط1، كلية العلوم. جامعة القاهرة 1985 ص81.

([2])محمد بن يزيد المبرد: البلاغة: تح الدكتور رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1985، ص 81.

الثالث عشر: أسلوب الاستفهام بـ "متى":

هي اسم يستفهم ا عن الزمان، قال سيباويه و "متى: أي حين" ، نحو: متى قدومك؟ ومتى جئت؟ ولا يجوز الجواب عن)متى) بالنكرة، قال المبرد: "وإن قيل: متى لقيت زيدا؟ فقلت شهرا لم يجز، لأن اللقاء لا يكون إلاّ في بعض الشهر، وإنما قال لك:)متى) لتوقف له، فتعرفه ، فإنما جواب ذلك: يوم الجمعة، أو شهر رمضان، أو ما شابه ذلك"ذلك أن الزمان أربعة أقسام:

مختص معدود، كرمضان، والصيف، فيقع جوابا ل)كم) و)متى).

غير معدود وغير مختص كحين ووقت، فلا يقع جوابا لواحد منهما.

معدود غير مختص، كيومين، وشهر، فيقع جوابا ل)كم) فقط.

مختص غير معدود، كيوم الجمعة، وشهر رمضان، فيقع جوابا ل)متى) فقط.

والخلاصة: يشترط في الزمان الذي يقع جوابا ل)متى) أن يكون مختصا معدودا كان أو غير معدود .

الرابع عشر: أسلوب الاستفهام بـ " أيان":

هي اسم يستفهم عن الزمان ك(متى) وهي مركبة من (أيّ(و)أوّان) فحذفت الياء الأخيرة من (أيّ) و الهمزة من (أوّان) ثم قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، فصارت (أيان) وقيل هي مركبة من (أيّ) و(آن) فحذفت الهمزة الأخيرة، فصارت الكلمتان بعد الاتصال: (أيان) ولكن الرضيّ لم يسترض هذا القول استنادا إلى أن (آن) لا يستعمل بغير لام التعريف، وأن (أيا) لا تضاف إلى مفرد معرفة ،وتختلف)متى) و(أيان) مع اتحادهما معنى في أمور: (أن)متى) أكثر استعمالا مع (أيان) في الزمان.

أن (متى) تستعمل في كل أمر، وأما (أيان) فتخص بالأمور المعظمة المفخمة كقوله تعالىٰ:

يسْألونكَ عَنِ الّ ساعَةِ أيَّ انَ مُرْسَاهَا« .

أن (متى) يستفهم ا عن الماضي، وعن المستقبل، وأما (أيان) فتختص في الاستفهام بالمستقبل.

أن (متى) تستعمل للشرط والاستفهام، وأما (أيان) فلم يسمع استعمالها للشرط وإن أجاز ذلك بعض المتأخرين. [1]

([1])الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري: الصناعتين للكتابة والشعر، تح مفيد قمحة، ط2، دار الكتب العربية

الخامس عشر: أسلوب الاستفهام بـ "أين":

هي اسم يستفهم ا عن المكان قال سيباويه: "وأين: أيّ مكان" وقال أيضا: " ولا يكون (أين) إلاّ للأماكن كما لا يكون (متى) إلاّ للأيام والليالي" نحو: أين تدرس اللغة؟ وأين علي؟

السادس عشر: أسلوب الاستفهام بـ" أنى": هي اسم يستفهم ا عن المكان كأين نحو قوله تعالى :يا مَرْيَمُ أَنى لكِ هَذَاأي من أين لك هذا؟ وقد تكون بمعنى)كيف) نحو قوله تعالى: أَنى يُحيي هَذِهِ اللَّهُ بـعْدَ مَوته

أي كيف ولهذا قال

سيباويه:" وأنّىٰ تكون في معنى كيف وأين"، وقد جمع الكميت بينها وبين (من أين) فقال:

أَ نى ومن أين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب فمجيء)من أين) بعد أنّى دليل على أ ا بمعنى (كيف) في البيت على أنه لا مانع أن تكون بمعنى (من أين) كررت التوكيد، وحسن التكرار لاختلاف اللفظين كما يراه ابن يعيش وقد ذكرالرضي: وتبعه عبد الرحمن الجامي والسيوطي أ ا قد تأتي بمعنى)متى) نحو ما جاء عن الضحاك في قوله تعالى

المبحث الثالث

الاستفهام في البلاغة :

أولا: استثمار البلاغيين قواعد النحويين في دراسة أساليب الاستفهام:

إن الأساليب الإنشائية تنقسم إلى قسمين:

إنشاء طلبي

إنشاء غير طلبي والمراد من الإنشاء الطلبي: " ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب" وبالإنشاء غير طلبي :ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، مثل أفعال المقاربة، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود، والقسمونحوها ولا يهتم البلاغيون ذا القسم لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به، ولأن أكثر أساليبه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء وأمّا الإنشاء الطلبي فينقسم إلى خمسة أقسام وهي: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، والنداء ووجه الحصر في ذلك أن الطلب إما أن يكون مطلبه ممكنا أم لا، والثاني هو التمني، والأول إما أن يكون المطلوب به حصول أمر في الذهن أم في الخارج، والأول هو الاستفهام، والثاني إن كان المطلوب به حصوله انتفاء فعل فهو النهي، وإن كان المطلوب به حصوله ثبوت فعل بإحدى حروف النداء فهو النداء، وإلا فهو أمر

والبحث الذي يدور حوله هذا البحث هو الاستفهام، وقد عرفه التفتازاني بقوله: " هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن وزاد بعضهم" : " بأدوات مخصوصة" ، والألفاظ الموضوعة له هي: الهمزة وأم وهل، وما وفروعها: ماذا، ومن، وأيّ وكم وكيف وأين، وأنّى ومتى وأيان" وقد سبق ذكر هذه الأدوات في "مقدمة الاستفهام في النحو" وتقدم أ ا تنقسم إلى حروف وأسماء، وأن الأسماء تتنوع إلى ظروف وغير ظروف وأن أدوات الاستفهام حروفا كانت أو أسماء تتصدر الكلام، فإن كانت حروفا فلا محللها من الإعراب، وإن كانت أسماء فمحلها الإعرابي حسب ما يقتضيه العامل الموجود في الكلام. والذي يهمنا في هذا البحث إلقاء الضوء على استثمار البلاغيين تلك القواعد النحوية في الموضوع. فأما حروف الاستفهام فقد قرر سيباويه أن الأصل فيها ألاّ يليها إلاّ الفعل إلاّ أن العرب أجازوا مجيء الاسم بعدها توسعاً.

وهذا الأصل المقرر يقتضي أن يكون الأصل في الحروف السؤال عن النسبة، لأن الظاهر من إيلاء الفعل للأداة أن الاستفهام عن النسبة . لكن حروف الاستفهام لم تحتفظ كلها ذا الأصل، فالهمزة لأصالتها في الاستفهام استعملت لطلب

المفرد، ولطلب النسبة ، وإن كان الأولى لها أن تستعمل لطلب النسبة، أورد السبكي احتمالات لتوجيه الاستفهام في مثال: أقام زيدٌ؟ ثم قال." غير أن الظاهر أن الاستفهام عن التصديق، لأن النسبة هي

الجديرة بالاستفهام، ولذلك كان إيلاء الفعل لهمزة الاستفهام وتأخير الاسم أولى من العكس" .

ويسمى طلب المفرد بالتصور، وهو: " إدراك غير النسبة الإيقاعية أو الانتزاعية من موضوع، أو [1]

محمول، أو نسبة هي مورد الإيجاب والسلب" كما يسمى طلب النسبة بالتصديق، وهو: إدراك مطابقة النسبة الكلامية أو عدم مطابقتها للواقع" ويلجأ لتحديد نوع الطلب بالهمزة إلى السياقوموقعية الكلام، وقديما قال سيباويه في جواز تقديم المفعول على الفاعل: " وهو عربي جيد كثير، كأ م إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمامِ ويعني اِمِ" .

وأورد الشيخ عبد القاهر في باب التقديم والتأخير كلام سيباويه، وعقبة بتفسير النحاة في ضوء بعض الأمثلة، من نحو: قتل الخارجي زيد، بتقديم المفعول على الفاعل، لأن الذي يتعلق به غرض القائل ويعنيه هووقوع القتل بالخارجي لا صدوره من شخص معين، ثم قال: " فهذا حيد بالغ إلاّ أن الشأن في أنه ينبغي أن يعرف في كل شيء قدّم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى، ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير" .

بعد ذلك بدأ ببيان التقديم وتركه في مسائل من الاستفهام بالهمزة، فبيّن الفروق الدلالية بين الجمل الاستفهامية بالهمزة، بين ما وَلِيَ الهمزة فيه فعل وما وليها فيه اسم، فإذا ولي الهمزة فعل، كان الشك في الفعل نفسه و الاستفهام يكون عنه نحو: أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟

فالسؤال عن الفعل، والشك فيه بين وجوده وانتفاءه، لا في الكتاب الذي كان المخاطب يكتبه، وإذا وليها الاسم كان الشك في الفاعل، وكان التردد فيه، نحو: أأنت كتبت هذا الكتاب؟ فالسؤال عن فاعل الكتابة للكتاب المكتوب الموجود أمام السائل، لا عن الكتابة نفسها، وإذا استعمل أحدهما مكان الآخر فسد الكلام، فنحو أأنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ ليس من كلام الناس، لأن أول الجملة يدل على أن السؤال عن تعيين الفاعل، هل هو المخاطب أو غيره، والفعل معلوم، وآخرها يدل على أن الفاعل هو المخاطب، والشك في الفعل، وكذا نحو: أكتبت هذا الكتاب؟ ليس بقول، لفساد أن يقال في الشيء المشاهد الذي نصب العينين: أموجود أم لا؟ ولوجود الفرق بين تقديم الفعل وبين تقديم الفاعل، يصح نحو: أرأيت اليوم إنسانا؟ ولا يصح نحو: أأنت رأيت إنسانا؟ إذ لا معنى للسؤال عن الفاعل في مثل هذا لأنه لا يختص ذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله، وإنما يتصور السؤال عن الفاعل إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص، مثل: من بنى هذه الدار ؟ولو لم يكن بين تقديم الاسم وتأخيره فرق لاستفهام كل ذلك، وإذا جاء الاسم نكرة لم يختلف الحكم أي أن المستفهم عنه هو ما يلي الهمزة، فعْلاً كان أو فاعلا أو غيرهما هذا وقد ذكر سيباويه في باب (أم) إذا كان الكلام ا منزلة أيهما وأيهم، أن قولك: أزيد عندك أم عمرو؟ وأزيداً لقيت أم بشرا؟ بمنزلة قولك: أيهما عندك؟ وأيّهما لقيت؟ فأنت مُدع عنه المخاطب أحدهما، أو أنه لقى أحدهما، ولكنك لا تدري من المستقر عنده، أو من الملتقي به؟ فإذا أردت هذا المعنى، فتقديم الاسمأ حسن، لأن السؤال

([1])جندي درويش: علم المعاني، دار النهضة، مصر، القاهرة، ص 12.

عن أحد الاسمين، لا عن الاستقرار واللقَى، ولو قلت: أعندك زيد أم عمرو؟ وألقيت زيدا أم عمْرا؟ كان جائزا حسنا .[1]

وقد أجاب محمد أبو موسىٰ عن الإشكال القائم بين نظري سيباويه وعبد القاهر بجوابين:

أن ما ذكره عبد القاهر هو الأسلوب الأشهر والأفصح، وما أجازه سيباويه من الأسلوب الذي رفضه عبد القاهر ضعيف، كما تدل عليه عبارة سيبويه نفسه.

أن التركيب الذي ذكره سيباويه قد يكون نظاما في مرحلة سابقة ثم إن الترقي في التراكيب الهادف التنقية الصياغة قد تجاوزه إلى الصورة المنضبطة التي قررها عبد القاهر، ورفض خلافها، وعبارة سيبويه إلى أن هناك تركيبين يفيد أن هذا المعنى، أحدهما أحسن من الآخر توحي بإمكان هذا الرأي ولنا في هذين الجوابين نظر، ذلك أن عبارة سيباويه لا تدل على ضعف ما رفضه عبد القاهر بل تدل على جوازه وحسنه، نعم ويشترط في هذا الجواز أن تكون هناك قرينة دالة على المسئول عنه، كما يظهر منأمثلة سيباويه، حيث جاء بعد)أم) المتصلة بالمعادل، وهو يدل على المسئول عنه مقدما كان أو مؤخرا. وأن تكن هناك قرينة تدل على المسئول عنه وجب الإتيان به بعد همزة الاستفهام احترازا عن الإلباس على المخاطب كما تدل عليه أمثلة عبد القاهر.

مما يؤيد هذا التوجيه أن الهمزة في الاستفهام الإنكاري قد يليها غير الفعل، ولكن الإنكار منصب على الفعل، وذلك إذا كان الفعل محصورا في واحدًا أو أكثر من الفاعل أو المفعول أو أحد متعلقاته، فيؤتىٰ بالاسم عقب الهمزة ، والغرض إنكار الفعل من أصله، نحو قوله تعالىٰ: قلْ أرأيـتمْ مَا أنـزلَ اللَّ هُ لكُمْ مِنْ رزقٍ فجَعَلتمْ مِنْهُ حَرامًا وحَلالا قلْ آللَّ هُ أذِنَ لكُمْ أمْ عَلى اللَّ هِ تـفْتـرونَ« فإن المعنى على إنكار الإذن فيما قالوه، لا على إنكار أن يكون من الله. والذي جعل الإنكار في الآية موجها إلى الفعل، رغم أن الذي ولي الهمزة الاسم، هو القرنية المعنويةفي تعيين المسؤول عنه؟!

و(أم) التي تقدم ذكرها تسمىٰ متصلة، تستعمل لطلب التصور، لأ ا تكون معادلة لهمزة الاستفهام على معنى "أيّ" ولهذا لا تستعمل إلاّ مع الهمزة ظاهرة أو مقدرة، وتكون قرينة لفظية على تعيين الهمزة لطلب التصور نحو: أمحمد في الصف أم عليّ. فإن لم تكن معادلة لهمزة الاستفهام كانت منقطعة، تستعمل لطلب التصديق، وتكون للإضراب والاستفهام غالبا، فتقدر ب(بل) و)الهمزة) نحو: أعليّ في الصف أم في الصف محمد؟ وأما (هل) فهي الحرف الوحيد الذي احتفظ بالأصل، فاختصت بطلب التصديق، نحو: هل حضر محمد؟ ولذلك امتنع استعمالها في كل أسلوب يدل على طلب التصور، نحو: هل عندك عليّ أم حامد؟ وهل زيد حضر أم عمرو؟ لأن (هل) لا تستعمل إلاّ لطلب التصديق و(أم) المتصلة لا تكون إلاّ لطلب التعيين، فالجمع بينهما يؤدي إلى التناقض ثم إن

([1])صلاح فضل :علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الآفاق، بيروت، 1985 ص 5.

(أم) تدل على ثبوت الأصل و(هل) تقتضي عدم حصوله، فلا يمكن الجمع بينهما فلا يتوجه السؤال من أصله .[1]

كما قبح استعمال)هل) في الأساليب التي فيها مظنة العلم بحصول التصديق، نحو: هل محمد قادم؟ وهل عليا أكرمت؟ لأن التقديم يقتضي حصول التصديق بالفعل، فتكون (هل) لطلب حصول الحاصل، وهو محال، ولكن احتمال أن يكون الاسم المتقدم معمولا لعامل محذوف، أو أن يكون التقديم رد الاهتمام لا

للتخصيص خفف الحكم السابق فجعله قبيحا إذ احتمال العامل محذوف يمنع العامل الظاهر عنالعمل بلا شاغل، وهو قبيح، كما أن الغالب في تقديم المنصوب كونه للتخصيص، ومخالفة الغالب قبيحة وبما أن)هل) تدخل غالبا على الفعل لفظا أو تقديرا، كان العدول عن هذا الأصل لنكتة بلاغية، ولهذا فضل قول الله تعالى: فـهَلْ أنـتمْ شَاكِرونَ « على قولنا: فهل تشكرن؟ وقولنا: فهل أنتم تشكرون؟ لأن الآية أدل على طلب الشكر من غيرها، ذلك أن الجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد، وأن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام، فإبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله مع إبقائه على أصله .

ثم إن الآية أفضل من نحو: أفأنتم شاكرون؟ لأن هذه الجملة وإن كانت للثبوت والدوام أيضا، لكن (هل) أدعىٰ للفعل من الهمزة فترك الفعل مع)هل) أدل على كمال العناية بحصول ما سيتجدد ولهذا لم يستحسن البلاغيون نحو: هل خالد مسافر؟ إلاّ من البليغ لأنه الذي يدرك اللطائف البلاغية الكامنة فيه، فيعتبر أنه لإبراز المتجدد في معرض الثابت لشدة الاهتمام بشأنه، بخلاف غير البليغ، فإنه وإن اتفق له ذلك فلا يحسن لحصوله بلا قصد ومن خصائص (هل)، كما – قرره النحاة- أ ا إذادخلت على المضارع خصصته بالاستقبال ، ولهذا منع البلاغيون أن يقع بعدها ما يدل على إنكار الفعل في زمن الحال، نحو: هل تضرب زيدا وهو أخوك فجملة " وهو أخوك" جملة حالية يقيد زمن عاملها)تضرب) فإذا كان مضمون الحال حاصلا في زمن التكلم وجب أن يكون مضمون العامل حاصلا في الموضوع لألاستقبال، ولكن تستعمل همزة الاستفهام لصلاحيتها للحال والاستقبال، فيقال: أتضرب زيدًا ذلك الزمن أيضا، لوجوب مقارنة المقيد لقيده في الزمان ولهذا يتنافى استعمال)هل) في مثال هذا وهو أخوك؟

وأما أسماء الاستفهام فكما تقدم أ ا تحتل مواضع إعرابية من مبتدأ وخبر وحال وغيرها، وهذه الخصوصية تؤثر على توجيه المسار في الاستفهام ذلك أن اسم الاستفهام قد يكون ركنا للجملة، وقد لا يكون ركنا لها، فإن كان ركنا للجملة لم يبق لها إلا ركن آخر يتم به معناها، نحو: من هذا؟ ومتى سافر؟ وأين عليّ؟وما شابه ذلك، وإن لم يكن الاسم ركنا للجملة، كان قيدا لها، نحو: أين قابلت

---

(١) جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ص43.

محمدًا؟ متى تخرجت؟وأمثالها. وهذه الأسماء أركانا كانت أو قيودا تعمل معاني خاصة من وصف أو زمان أو مكان أو حال أو [1] غيرها، وهي التي يتوجه السؤال إليها، ولهذا كانت هذه الأسماء للاستفهام عن التصور، أي المفرد ،لأن السؤال عن وصف مجهول، أو زمانه، أو مكانه مثلا لا يجدي شيئا، فلا يقول السائل من عندك؟ إلاّ بعد أن يكون قد علم أن أحدا موجودًا عند المخاطب، ويريد منه تعيين ذلك الشخص والتشخيص

(تشخيصه) فما على المخاطب إلا أن يعين عدد الأقلام، فيقول ثلاثة أقلام مثلا، ولا يقول السائل:متى تسافر؟ إلاّ إذا علم أن المخاطب سيسافر، ويطلب منه تحديد الوقت الذي سيسافر فيه، فعلى المخاطب أن يحدد ذاك الوقت، فيقول: غدا مثلا ، وهكذا يقال في سائر أسماء الاستفهام مع ملاحظة أنيستفهم ب)ما) عن شرح الاسم، أو ماهية المسمىٰ، وبـ)أيّ) عمّا يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، وبـ)كيف) عن الحال وبـ (أين) عن المكان، وبـ (أنّىٰ) عن الكيفية أو المكان وبـ(أيان) عن الزمان .

ثانيا: تعريف الاستفهام عند البلاغيين:

تطرق البلاغيون لأسلوب الاستفهام كباقي الأساليب البلاغية، وكان من بين أهم الأغراض البلاغية الشائعة في أمهات كتب البلاغة، وكل أعطى مفهومه الخاص به حول هذا الأسلوب، نذكر من بينهم السكاكي: الذي عرفه فقال: "الاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ... والثاني هو التصور" ولم يخرج عن هذا التعريف القزويني في كتابيه الإيضاح والتلخيص، وأيضا العلوي فقال عنه: " معناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام. أما التعريفات للشريف الجرجاني فقال فيه حول الاستفهام: "الاستفهام استعلام ما في ضمير المخاطب. وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فإن لكل تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أولا

وقوعها فحصولها هو التصديق وإلاّ فهو التصور" ولم تخرج المعاجم العربية عن هذا المعنى نأخذ من بينهم ابن منظور في معجميه " اللسان المعجم و الوسيط" حيث قال: " واستفهمه: سأله أن يفهمه" إن عدم الالتفات لآراء العديد من البلاغيين لا ينقص من قيمتهم ووز م كعلماء لأ م أثروا اللغةالعربية عامة والبلاغة خاصة لما قدموه لها وجعلوها في طليعة العلوم، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن مدار مصطلح الاستفهام عندهم كان موحدا أي أن مفهومه عند جل علماء البلاغة رسىٰ على معنى واحد ألاوهو " طلب الفهم" وبقي بذلك هذا المعنى ساريا في المواقف التي ينزل فيها العارف منزلة الجاهل. ومن خلال هذه التعريفات لأسلوب الاستفهام عند النحويين والبلاغيين يتضح لنا أن الموازنة بينالدراسة النحوية والدراسة البلاغية في باب الاستفهام هي شبه صورة عما يمثله الفرق بين الدراسة النحوية والدراسة البلاغية عموما، لكن هذا الأمر يجعل الموازنة في هذا الموضوع ذو حدود ضيقة هو قرب علم النحو من علم المعاني الذي يعد شطرا أساسيا من أشطر البلاغة، لذلك سار أهل النحو والبلاغة مسارا واحدا، لا يفرق سبيلها إلاّ في جزئيات لا تسمح لنا بتحديد مصطلح

([1])عمرو بن عثمان بن قنب: الكتاب، ص 99.

خاص ذا الاختلاف الجزئي، لأن المنهج واحد ومجال الدراسة واحد هو العربية بمستويا ا: "القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف ثم كلام العرب بنوعيه نثرا وشعرا"، لكن مضمون هذا التفاوت لا يتعدىٰ أن يكون توسع أحد الطرفين في مسألة أو في باب، وتوسع الطرف الآخر في مسألة أخرىٰ أو باب آخر، وسبب آخر هو أن المنشغلين بعلم المعاني كثيرا ما كانوا هم المنشغلين بعلم النحو حتى إن البلاغيين كثيرا ما وظفوا معرفتهم بالنحو في مسائل كان يعدّها البعض مسائل بلاغية محضة لكن على العكس وهذا ما أظهر الرابطة القوية بين النحو والبلاغة.

الخاتمة

١. تكلمنا في بحثنا هذا بلاغة الاستفهام ودلالته في القرأن الكريم

٢. تكون البحث من ثلاث فصول ومقدمة وخاتمة

٣. المبحث الاول :ـ تكلم عن البلاغة والنحو في اللغة العربية اسماء الاستفهام

٤. اما المبحث الثاني :ـ تكلم عن الاستفهام في اللغة وكان نوعان اساسياً الخبر والانشاء

٥. وكذلك عرف الاستفهام :ـ لغة واصطلاح

٦. المبحث الثالث : كان يستعرض الاستفهام في اللغة العربية

المصادر والمراجع

١. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة،إشراف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ج2 ص439.

٢. الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح محمد إبراهيم البنا، ط1، دار الاعتصام القاهرة 1985 ص33

٣. محمد بن إسحاق ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ج60 1978، ص61.

٤. الوزين جمال الدين علي بن يوسف القفطي :إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تح محمد أبو

٥. الفضل إبراهيم ،ط1،دار الفكرللطباعة وتوزيع والنشر، دمشق، 1986 ص4 (5)-

٦. الوزين جمال الدين علي بن يوسف القفطي :إنبا الرواة على أنباه النحاة ،تح محمد أبو

٧. الفضل إبراهيم ،ط1، دار الفكر للطباعة وتوزيع والنشر. دمشق. 1986 ص4

٨. ابو عثمان عمرو بن سعيد الداني :المحكم في نقط المصاحف، تح عزة حسن، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،دمشق1986 ص4

٩. القفطي: إنباه الرواة على أنباء النحاة ص39

١٠.جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ط2، ج12، دار الفكر، بيروت ص459.

١١.مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس أبادي، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت،2001 ص1056 .

١٢.ابن منظور : لسان العرب، ج2، 459-460.

١٣.جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة تح عبد الرحمن محمود، دار المعرفة، بيروت1982 ص349.

١٤.إسماعيل بن حماد: الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية، تح عبد الغفور عطار ج5، ط3، دار العلم بيروت1984 ص

١٥.2005.

١٦.أحمد بن فارس: الصاحبي تح السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ص292،

١٧.جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تح عبد العال سالم مكرم،ط1 ج7، مؤسسة الرسالة، بيروت1985ص43.

١٨.عمرو بن عثمان بن قنب: الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون ،ج1، ط3، عالم الكتب، لبنان، 1983 ص 99.

١٩.أبو عبد الله محمد بن مالك الأندلسي: ألفية بن مالك في النحو والصرف، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،2003 ص 13.

٢٠.عثمان أبو فتح بن جني: اللمع في العربية: تح حامد المؤمن، ط2، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ص 300.
٢١.نور الدين على بن محمد الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك،ج1، دار إحياء الكتب العربية ص55.
٢٢.محمد بن علي الصّبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ج1 ، دار إحياء الكتب العربية ،عيسالبابي الحلبي، ص159.
٢٣.محمد محي الدين عبد الحميد: هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك المطبوعة مع الأوضح، ج1، ط8، دار إحياءالتراث العربي بيروت، 1996 ص113.
٢٤.السيرافي:أخبار النحويين والبصريين 34-35-36
٢٥.السيرافي:أخبار النحويين والبصريين 34-35-36
٢٦.أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان، المعاني و البديع، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت ص7-8.
٢٧.عمرو بن عثمان بن قنبر سيباويه: الكتاب تح عبد السلام محمد هارون: ج1،ط3، عالم الكتب. لبنان،1983،ص26،25.
٢٨.المصدر السابق ج1 ص 54
٢٩.أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار ج1، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت ص 34.
٣٠.محمد عبد اللطيف حماسة: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط1، كلية العلوم. جامعة القاهرة
٣١.1985 ص81.
٣٢. (61) - محمد بن يزيد المبرد: البلاغة: تح الدكتور رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1985، ص 81.
٣٣. (71) - الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري: الصناعتين للكتابة والشعر، تح مفيد قمحة، ط2، دار الكتب العربية
٣٤.،1989، ص15.